﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾

[الحجرات: 7 - 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلهما:

أمّا مناسبةُ الآيةِ الأولى لِما قبلَها؛ فهي أنَّهُ لمّا كانَ إقدامُهم على كثيرٍ مِنَ الأمورِ مِن غيرِ مشاورةٍ للرَّسولِ ﷺ؛ عَمَلَ مَنْ لا يعلمُ أنَّ رسولَ اللّه قريبٌ منهُ - وكانَ الإعراضُ عنهُ حيًّا، وعن بذلِ الجهدِ في استخراجِ الأمورِ مِن شريعته بعدَ موته - أمرًا مُفسِدًا للبَيْنِ، أخْبرَهم بهِ، مُنزِّلًا لهم منزلةَ مَن لا يعلمُ أنَّهُ موجودٌ معَهُ[1].

مَنْ خالفَ الرَّسولَ؛ فقد جَهِلَ مكانتَه وقُربَه مِنهم

وأمّا مناسبةُ الآيةِ الثّانيةِ للأولى؛ فهي أنَّهُ تعالى لَمّا ذكرَ التَّحبيبَ والتَّزيينَ والتَّكريهَ، وما أنتجَهُ مِنَ الرَّشادِ؛ ذكرَ علَّتَهُ؛ إعلامًا بأنَّهُ تعالى لا يجبُ عليهِ شيءٌ؛ حثًّا على الشُّكرِ[2].

صلاحُ الإنسانِ نعمةٌ مِنَ الله

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾: (عنت) أصلٌ يدلُّ على مشقَّةٍ[3]، ومِن ذلكَ يقالُ: عنتَ فلانٌ، أي: لقيَ مشقَّةً[4]، وعنتَ العظمُ: انكسرَ بعدَ الجبرِ[5]،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 366.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 369.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عنت).
(4) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح: (عنت).
(5) الزمخشري، أساس البلاغة: 1/ 680.

وفلانٌ يتعنَّتُ فلانًا، أي: يُشدِّدُ، ويُلزِمُهُ بما يصعبُ عليهِ أداؤُهُ[1]، والمرادُ بالعنتِ هنا: الوقوعُ في الجهدِ والهلاكِ[2]، واختلالُ الأمرِ في الحاضرِ أو في العاقبةِ[3].

2) ﴿حَبَّبَ﴾: (حبب) أصلٌ يدلُّ على اللُّزومِ والثَّباتِ، ومِن ذلكَ يقالُ: أحبَّهُ؛ إذا لزِمَهُ[4]، والمحبَّةُ: إرادةُ ما تراهُ، أو تظنُّهُ خيرًا[5]، ومحبَّةُ اللهِ للعبادِ: إرادةُ الخيرِ بهم، وغفرانُ ذنوبِهم، ومحبَّةُ العبادِ لربِّهم ولرسوله: طاعتُهم لهما، وامتثالُ أوامرِهما، واجتنابُ نواهيهما[6]، والمرادُ هنا: أنَّ اللهَ جعلَ الإيمانَ أحبَّ الأشياءِ إليهم، فلا يقعُ منهم إلّا ما يوافقُهُ مِنَ الأمورِ الصّالحةِ، وتركِ التَّسرُّعِ في الأخبارِ[7].

3) ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾: (زين) أصلٌ يدلُّ على حُسْنِ الشَّيءِ وتحسينه، فالزَّيْنُ نقيضُ الشَّيْنِ، وتزيينُ الشَّيءِ: تحسينُهُ[8]، والزّينةُ ثلاثٌ: زينةٌ نفسيَّةٌ: كالعلمِ والاعتقاداتِ الحسنةِ، وزينةٌ بدنيَّةٌ: كالقوَّةِ وطولِ القامةِ، وزينةٌ خارجيَّةٌ: كالمالِ والجاهِ[9]، والمرادُ بتزيينِ الإيمانِ هنا: جعْلُهُ حسنًا[10].

4) ﴿وَكَرَّهَ﴾: (كره): أصلٌ يدلُّ على خلافِ الرِّضا والمحبَّةِ[11]، ومِن ذلكَ يقالُ: فعلتُهُ على كرهٍ، وفعلتُهُ كرهًا، وأكرهتُهُ: حملْتُهُ على أمرٍ، وهو لا يَرْضاهُ، ولا يُحِبُّهُ، وكرَّهَ إليَّ كذا تكريهًا: صيَّرَهُ عندي بحالِ كراهةٍ[12]، وهو المرادُ هنا.

5) ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: (رشد) أصلٌ يدلُّ على استقامةِ الطَّريقِ[13]، ومِن ذلكَ: الرُّشْدُ، وهو ضدُّ الغَيِّ، فالرُّشْدُ: الهدايةُ، والغَيُّ: الضَّلالُ[14]، وأرشدَهُ اللهُ ورشَّدَهُ: هداه، والرَّشيدُ في

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (عنت).
(2) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 126.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 235.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حبب).
(5) الراغب، المفردات: (حبب).
(6) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (حبب).
(7) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 128.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبل).
(9) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (زين).
(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 237.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كره).
(12) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح: (كره).
(13) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رشد).
(14) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رشد).

صفاتِ اللّه تعالى: الهادي إلى سَواءِ الصِّراطِ[1]، والمرادُ بالرُّشدِ هنا: الاستقامةُ على طريقِ الحقِّ معَ تصلُّبٍ فيهِ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لولا لطفُ الله ورحمتُهُ بالعبدِ؛ لهلكَ

يخبرُ اللّه تعالى عبادَهُ المؤمنينَ عن فضلٍ لهُ عليهم، يتعلَّقُ بتعاملِهم مع نبيّه ﷺ، فيقولُ: واعلموا أنَّ بينَ أظهركم رسولَ اللّه، فعظِّموه، ووقِّروهُ، وتأدَّبوا معَهُ، فلو كانَ يعملُ في الأمورِ بآرائِكم، ويقبلُ منكم ما تقولونَ لهُ، فيطيعُكم؛ لنالَكُم شِدَّةٌ ومشقَّةٌ، ولكنَّ اللّه حبَّبَ إليكم الإيمانَ باللّه ورسوله، فأنتم تطيعونَ رسولَ اللّه، وتأتمّونَ بهِ، فيقيكم اللّه بذلكَ مِنَ الشِّدَّةِ والمشقَّةِ، وحسَّنَ الإيمانَ في قلوبِكم، فآمنتم، وكرَّهَ إليكم الكفرَ باللّه، والكذبَ، وركوبَ ما نهَى اللّه عنهُ، وهؤلاءِ هم الرّاشدونَ السّالكونَ طريقَ الحقِّ، فضلًا منهُ، وإحسانًا، ونعمةً منهُ أنعمَها عليكم، واللّه ذو علمٍ بالمُحسِنِ منكم، والمسيءِ، ومَن هو لنعمِ اللّه وفضله أهلٌ، ومَن هو لذلكَ غيرُ أهلٍ، وذو حكمةٍ في تدبيره خَلْقَهُ، وصرفه إيّاهم فيما شاءَ مِن قضائه[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ الوَصْلِ في ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾:

الحثُّ على رعايةِ حُـرمـةِ وجـودِ الرَّسولِ بينَهم

قولُهُ تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ عطفٌ على جملةِ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾، عطْفَ تشريعٍ على تشريعٍ، وليسَ مضمونُها تكملةً لمضمونِ جملةِ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾، بل هي جملةٌ مستقلَّةٌ[4]، وسِرُّ الوَصْلِ ما بينهما مِن التَّوسُّطِ بينَ الكمالَيْنِ، فالمعطوفُ إنشاءٌ، نوعُه الأمرُ، والمعطوفُ عليه جوابُ الشَّرطِ فيه كذلكَ.

(1) الجوهري، الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (رشد).
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 363.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 289، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 372 - 373.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 234.

سرُّ الابتداءِ بلفظ التَّنْبيه:

العنايةُ بالتَّحذيرِ مِنَ المخالفةِ

ابتداءُ جملةِ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ بـ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ للاهتمامِ بمضمونِها[1]؛ إذ فيهِ تنبيهٌ لهم على أمرٍ يقعونَ فيهِ، وفيهِ هلاكُهم ومشقَّتُهم، وتنبيهٌ على أنَّ مَن أخلَّ بمراعاة ما بعدَها يكونُ في عِدادِ الغافلينَ[2].

دلالةُ الأمرِ في ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾:

الأمرُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ للوجوبِ؛ لأنَّهُ الأصلُ، ولا مقتضيَ للعدولِ عنهُ، فينبغي عليهم التَّيقُّظُ لِما في حيِّزه.

بلاغةُ الكنايةِ:

واجبُ المسلمينَ اتِّباعُ ما شرعَ لهم الرَّسولُ

قولُهُ تعالى: ﴿أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ خبرٌ مُستعملٌ في الإيقاظِ والتَّحذيرِ على وجهِ الكنايةِ، فإنَّ كونَ رسولِ الله ﷺ بينَهم أمرٌ معلومٌ، لا يُخبَرُ عنهُ، وإنَّما المقصودُ تعليمُ المسلمينَ اتِّباعَ ما شرعَ لهم رسولُ الله ﷺ مِنَ الأحكامِ، ولو كانَت غيرَ موافقةٍ لرغباتِهم[3].

سِرُّ التَّوكيدِ في ﴿أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾:

إيقاظُ الغافلينَ عن كمالِ الاتِّباعِ

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ بـ﴿أَنَّ﴾، واسميَّةِ الجملةِ؛ لبيانِ تحقُّقِ مضمونه، وفي ذلكَ مزيدُ إيقاظٍ لِمَنْ كانَ غافلًا عن وجوبِ اتِّباعِ الشَّرعِ؛ بتنزيله منزلةَ مَن يعتقدُ أنَّ الرَّسولَ غائبٌ عنهم، ولذلكَ أُكِّدَ الكلامُ.

نكتة تقديمِ ﴿فِيكُمۡ﴾:

وجودُ النَّبيِّ بينَهم داعٍ لهم إلى التَّوقيرِ والاتِّباعِ

قُدِّمَ قولُه: ﴿فِيكُمۡ﴾ على قولِه: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾، في قوله تعالى: ﴿أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾، مع أنَّ حقَّهُ التَّأخيرُ عن اسمِ ﴿أَنَّ﴾؛ للقصدِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 234.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 366.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 234.

إلى توبيخ بعضِ المؤمنينَ، على ما استُهجِنَ منهم، مِن استتباعِ رأيِ رسولِ اللَّه ﷺ لآرائِهم، فوجبَ تقديمُهُ؛ لانصبابِ الغرضِ إليه[1]، والمعنى: أتستتبعونَ رأيَهُ لرأيِكم، وهو رسولٌ مِنَ اللَّه، ومَهْبِطُ وحْيه، فكيفَ وهو مستقرٌّ فيكم، وأنتم بينَ يديهِ شاهدينَ مجلسَهُ، ولستم غائبينَ كغيركم؟ نزَّلَهم لذلكَ الفعلِ منزلةَ مَن اعتقدوا أنَّهُ غائبٌ عنهم، فلو أُخِّرَ ﴿فِيكُمْ﴾؛ لم يُتفطَّنْ لتلكَ النُّكتة[2]، وفي التَّقديمِ أيضًا اهتمامٌ بهذا الكونِ فيهم، وتنبيهٌ على أنَّ واجبَهم الاغتباطُ بهِ، والإخلاصُ لهُ؛ لأنَّ كونَهُ فيهم شرفٌ عظيمٌ لجماعتِهم وصلاحٌ لهم[3].

دلالةُ حرفِ الجرِّ (في):

حرفُ الجرِّ في قوله تعالى: ﴿أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ للظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ؛ فيفيدُ أنَّهم بمنزلةِ ظرفٍ يكونُ فيهِ رسولُ اللَّه ﷺ، وهو منبعُ الحقِّ والهدى والخيرِ والصَّلاحِ لهم، فحقُّهُ أن يُطاعَ، ويُتَّبعَ في كلِّ شأنٍ، فالظَّرفيَّةُ هنا مجازيَّةٌ.

كينونةُ الرَّسولِ بينَهم منبعُ الخيرِ والصَّلاحِ لهُم

علَّةُ التَّعبيرِ بالرَّسولِ:

عُبِّرَ بالرَّسولِ في قوله تعالى هنا: ﴿أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾، وبالنَّبيِّ في قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2]؛ لأنَّ المرادَ هنا شرفُ الرِّسالةِ، وشرفُ النَّبيِّ تبعٌ لها[4]، وهذا هو المناسبُ لقوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الآية، فالرَّسول إنَّما يطيعُ اللَّه؛ لأنَّ رسالتَه مستمدَّةٌ منه، لا مِن غيرِه.

تشريفُ رسالته ﷺ

دلالةُ الإضافةِ في ﴿رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾:

الإضافةُ في قوله جلَّ مِن قائلٍ: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾؛ لتعظيمِ شأنِ النَّبيِّ ﷺ بكونه رسولَ ذي العظمةِ والجلالِ، وللتَّنبيهِ على اختصاصه

رسولُ العظيمِ عظيمٌ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 361، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 366.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 472.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 235.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 36.

باللّه تعالى، وعُلوِّ قَدْره عندَهُ، وفي ذلكَ مزيدُ ملاءمةٍ لسياقِ الحثِّ على رعايةِ حُرمته بينَهم.

بلاغةُ إيثارِ اسم الجلالةِ في ﴿رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾:

مَنْ عرفَ العظيمَ سبحانَهُ؛ اتَّبعَ رسوله

أوثِرَ اسمُ الجلالةِ في قوله ﷻ: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾؛ لدلالته على صفاتِ العظمةِ والجلالِ[1]، فيكونُ أنسبَ بمقامِ تعظيمِ شأنِ النَّبيِّ ﷺ، ومقامِ التَّلويحِ بالعقوبةِ لمَن يُقدِّمونَ بينَ يديهِ، ويريدونَ أن يتَّبعَ أهواءَهم، وذلكَ أنَّ عقابَ العظيمِ سبحانَهُ لا قِبَلَ لأحدٍ بهِ.

بلاغةُ موقعِ جملة ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾:

وجوبُ الانتقالِ مِن حالةِ المُخالَفةِ إلى حالةِ الاتِّباعِ

قولُهُ تعالى: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ حالٌ مِن أحدِ الضَّميرينِ في قوله: ﴿أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ المستترِ المرفوعِ، أو البارزِ المجرورِ، والمعنى: أنَّ فيكم رسولَ اللّه على حالةٍ يجبُ عليكم تغييرُها، أو أنتم على حالةٍ يجبُ عليكم تغييرُها، وهي أنَّكم تحاولونَ منهُ أن يعملَ في الحوادثِ على مُقتضَى ما يظهرُ لكم مِن رأيٍ[2]، وفي نَظْمِه حالًا إشارةٌ لطيفةٌ إلى قُبْحِ أن يكونَ حالُهُم مع رسولِ اللّه اتِّباعَ هواهُ لهواهُم، وهو لا يزال بين ظهرانَيهم.

معصيةُ بعضِ المخاطَبينَ تَضُرُّ غيرَهُم

ويَحتملُ أن تكونَ استئنافًا ابتدائيًّا، فضميرا الجمعِ في قوله: ﴿يُطِيعُكُمۡ﴾، وقوله: ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾: عائدانِ إلى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على توزيعِ الفعلِ على الأفرادِ، فالمطاعُ بعضُ الَّذينَ آمنوا، وهم الَّذينَ يبتغونَ أن يعملَ الرَّسولُ ﷺ بما يطلبونَ منهُ، والعانتُ بعضٌ آخر، وهم جمهورُ المؤمنينَ الَّذينَ يجري عليهم قضاءُ النَّبيِّ ﷺ بحسَبِ رغبةِ غيرِهم[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 366.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 361.
(3) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 351، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 234.

سرُّ التَّعبيرِ بـ﴿لَوْ﴾:

طاعةُ الرَّسول لهم مفروضةٌ غيرُ متحقِّقةٍ

اختيرَت ﴿لَوْ﴾ دونَ غيرِها مِن أدواتِ الشَّرطِ، في قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾؛ للدَّلالةِ على الفرضِ والتَّقديرِ، وأنَّ ما بدرَ منهم مِن طلبِ طاعته لهم كانَ مِن حقّه أن يُفرَضَ، كما تُفرَضُ الممتنعاتُ[1]، ففيه نوعُ توبيخٍ لهم، وإنكارٍ لطيفٍ عليهم أن يكون منهم ذلك، وللتَّنبيهِ على أنَّهُ ﷺ لا يطيعُهم؛ لئلّا يشقَّ عليهم؛ لِما هو متخلِّقٌ بهِ مِن طاعةِ الله، والوقوفِ عندَ حدوده، مع ما له مِنَ البصيرةِ في التَّمييزِ بينَ المُلبساتِ، والخِبرةِ التّامَّةِ بالأمورِ المشتبهاتِ، الَّتي هي سببُ هلاكِ الأغلبِ؛ لأنَّها لا يعلمُها كثيرٌ مِنَ النّاسِ[2].

دلالةُ المضارعة في ﴿يُطِيعُكُمْ﴾:

قبحُ إصرارِ المخالفِ على معصيته

الأصلُ أن يقالَ: (أطاعَكم)؛ لأنَّ حرفَ ﴿لَوْ﴾ يفيدُ تعليقَ الشَّرطِ في الماضي، وإنَّما عُدِلَ إلى المضارعِ في قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّهُ كانَ في إرادتِهم استمرارُ عمله ﷺ على ما يستصوبونَهُ، وأنَّهُ كلَّما ظهرَ لهم رأيٌ في أمرٍ كانَ معمولًا عليهِ[3]، وفي ذلكَ تصويرٌ لِما كانوا عليهِ، وتهجينٌ لهُ، وتوبيخٌ على إرادةِ استمرارِ ما حقُّهُ أن يكونَ مفروضًا، فَضْلًا عن الوقوعِ[4].

معنى ﴿فِي﴾، ودلالة التَّعبير بها:

التَّعبيرُ بحرفِ الجرِّ الدّالِّ على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ في قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الأمورَ والشُّؤونَ هي محلُّ الطّاعةِ المفروضةِ الحصولِ.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 300.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 367.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 361، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 101، والسمين الحلبي، الدر المصون: 10/ 7.

(4) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 300.

عِلَّةُ التَّعبيرِ بـ﴿كَثِيرٍ﴾:

بعض رأي المؤمنينَ محمودٌ عندَ النَّبيِّ

عُبِّرَ بالكثيرِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّهُ ﷺ قد يوافقُهم في بعضِ الأمورِ، ممّا هو غيرُ شؤونِ التَّشريعِ، كما أطاعَهم في نزولِ الجيشِ يومَ بدرٍ على جهةٍ يستأثرونَ فيها بماءِ بدرٍ[1].

معنى ﴿مِّنَ﴾، ودلالة التَّعبير بها:

﴿مِّنَ﴾ في قوله ﷻ: ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ بيانيَّةٌ، فتفيدُ أنَّ الكثيرَ المذكورَ هنا مِن جنسِ الأمرِ.

عِلَّةُ التَّعبيرِ بالأمرِ:

قد يرتضي الإنسانُ أمرًا لا يرضاه الله ورسولُه

جيءَ بالأمرِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾؛ لأنَّهُ لفظٌ عامٌّ يشملُ الحوادثَ والقضايا النّازلةَ[2]، وللتَّنبيهِ على أهمّيَّةِ أفرادِ هذا الأمرِ، فإنَّ كُلًّا منها يرتضيه هؤلاءِ، فيريدونَ مِن رسولِ اللّه أن يُطيعَهُم فيه.

دلالةُ تعريفِ الأمرِ:

تعريفُ الأمرِ في قوله تعالى: ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ تعريفُ الجنسِ، وهو شاملٌ لجميعِ الأمورِ[3]، وهذا يُبرز عِظَمَ جُرْمِهم.

دلالةُ اللّامِ في ﴿لَعَنِتُّمْ﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ واقعةٌ في جوابِ الشَّرطِ، فتفيدُ ربطَ الجزاءِ بالشَّرطِ، فالعنتُ المفروضُ هنا مرتبطٌ بالطّاعةِ المفروضةِ.

دلالةُ المُضِيِّ في ﴿لَعَنِتُّمْ﴾:

تحقُّقُ العنتِ وتوكيدُ وقوعِه

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قوله تعالى: ﴿لَعَنِتُّمْ﴾؛ لأنَّ ﴿لَوْ﴾ لتعليقِ الشَّرطِ بالجزاءِ في الماضي على سبيلِ الفرضِ والتَّقديرِ، ولذلكَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 102، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 235.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 235.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 235.

كانَ الأصلُ أن تكونَ جملتا الشَّرطِ والجزاءِ بصيغةِ الماضي، ولا يخلو مِن إشعارٍ بتحقُّقِ العنتِ، وتوكيد وقوعِه.

عِلَّةُ التَّعبيرِ بالعنتِ:

عُبِّرَ بالعنتِ في قوله تعالى شأنُهُ: ﴿لَعَنِتُّمْ﴾؛ لدلالةِ هذا اللَّفظِ على طلبِ ما يُؤدّي إلى الهلاكِ[1] والشَّقاءِ والمشقَّةِ، وفي ذلكَ دلالةٌ على أشدِّ المحذورِ[2]، وتنبيهٌ على أنَّ الاجتهادَ بينَ يدي الشّارعِ مَهلَكةٌ[3]، ويُؤدّي إلى اختلالِ الأمرِ في الحاضرِ، أو في العاقبةِ[4].

الاجتهادُ بينَ يدي الشّارعِ مَفسَدةٌ ومَهلَكةٌ

نكتةُ الاستدراكِ في ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾:

الاستدراكُ المستفادُ مِن (لكنَّ) في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ ناشئٌ عن قوله: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾؛ لأنَّهُ اقتضَى أنَّ لبعضِهم رغبةً في أن يُطيعَهم الرَّسولُ ﷺ فيما يرغبونَ أن يفعله، ممّا يبتغونَ ممّا يخالونَهُ صالحًا بهم في أشياءَ كثيرةٍ تَعرِضُ لهم، والمعنى: (ولكنَّ اللّه لا يأمرُ رسوله إلّا بما فيهِ صلاحُ العاقبةِ، وإن لم يُصادِف رغباتِكم العاجلةَ)، وذلكَ فيما شرعَهُ اللّه مِنَ الأحكامِ[5].

اللّه لا يأمرُ رسوله إلّا بما فيهِ صلاحُ العاقبةِ

ويَحتملُ أن يكونَ الاستدراكُ لبيانِ عذرِهم، وهو أنَّهُ مِن فَرْطِ حبِّهم للإيمانِ وكراهتِهم للكفرِ وقع منهم ذلكَ؛ لمّا سمعوا قولَ الوليدِ بنِ عُقبَةَ بنِ أبي مُعَيطٍ في قصَّةِ بني المصطلقِ، والَّتي كانت سَبَبَ نزولِ هذه الآياتِ[6].

بَسْطُ عذرِ مَن أخذَتهم حميَّةُ الإيمانِ

ويَحتملُ أن يكونَ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ

بيانُ براءةِ مَن لم يُرِد أن يُطيعَهُ النَّبيُّ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 361.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 300.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 147، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 314.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 235.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 236.
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 135.

ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ تجريدٌ للخطابِ، وتوجيهٌ لهُ إلى بعضٍ آخرَ، بطريقِ الاستدراكِ؛ بيانًا لبراءَتِهم عن أوصافِ الأوَّلينَ، وإحمادًا لأفعالِهم[1].

عِلَّةُ التَّعبيرِ باسمِ الجلالةِ:

مَن قدرَ العظيمَ حـقَّ قَـدْره؛ امتثلَ لهُ

ذُكِرَ اسمُ الجلالةِ في صدرِ جملةِ الاستدراكِ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ دونَ ضميرِ المتكلِّمِ: (ولكنّا)، أو: (لكنَّنا)؛ لِما يُشعِرُ بهِ اسمُ الجلالةِ مِنَ المهابةِ والرَّوعةِ، وما يقتضيهِ مِن واجبِ اقتبالِ ما حُبِّبَ إليهِ، ونبذِ ما كُرِّهَ إليهِ[2]، ولو قيل: (ولكنَّه)، بعود الضَّمير على اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾، بعدَ قوله سبحانه: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾؛ لتبادر إلى الذِّهن أنَّه رسولُ الله، وليس كذلك، فعُبِّر بالاسم الظّاهر نصًّا على المقصودِ، واحتراسًا مِن غيرِ المرادِ؛ لئلّا يُؤتَى المُتلقّي مِن قِبَلِ المُتكلِّم.

غرضُ تقديمِ المسندِ إليهِ على المسندِ الفعليِّ:

الـهـدايـةُ إلى الإيـمـانِ توفيق الله تعالى يقينًا

قُدِّمَ المسندُ إليهِ على المسندِ الفعليِّ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾؛ لإفادةِ تقوّي الإسنادِ؛ لأنَّ الجملةَ تشتملُ على نسبةِ التَّحبيبِ إلى الله، وفي (حبَّبَ) ضميرٌ راجعٌ إلى اسم الجلالةِ، فيفيدُ نسبةَ التَّحبُّبِ إليهِ مرَّةً أخرى، كأنَّهُ قيلَ: (ولكنَّ الله حبَّبَ، ولكنَّ الله حبَّبَ)، وعندما يتلقَّى المُتلقّي اسم الجلالة؛ تستشرف نفْسُه لتلقّي الخبر، فإذا تلقّاه - وحالُه كذلك - تمكَّن معنى الجملة في نفْسِه خيرَ تمكُّن.

دلالةُ المُضيِّ في ﴿حَبَّبَ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ التَّحبُّبِ، وأنَّهُ أمرٌ قد مضَى، وانقضَى، وذلكَ أعظمُ في تقرير المِنَّةِ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 119.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 237.

عِلَّةُ التَّعبيرِ بالتَّحبيبِ:

مَن أحبَّ شيئًا؛ حرصَ عليهِ

عُبِّرَ بالتَّحبيبِ في قوله جلَّ مِن قائلٍ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾؛ لدلالته على أنَّ الله تعالى بيَّنَ لهم الإيمانَ، وجعله محبوبًا إليهم، فهو لم يهدِهم لهُ فقط، بل جعلَهم يحبّونَهُ، ويحرصونَ عليهِ حرْصَ الحبيبِ على محبوبه، فمَن أحبَّ الإيمان؛ أحبَّ الرَّسولَ الذي جاءَهُم به، وأحبَّ الزّيادة في الإيمان بطاعته.

بلاغَةُ التَّعدية بـ(إلى):

اللـه بلَّغَ المخاطَبينَ حبَّ الإيمانِ وكُرْهَ الكفرِ

عُدّيَ فِعْلا ﴿حَبَّبَ﴾، ﴿وَكَرَّهَ﴾ بالحرفِ (إلى) في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ - ومعناه انتهاء الغاية - لتضمينِهما معنى (بلَّغَ)، أي: بلَّغَ إليكم حُبَّ الإيمانِ وكُرْهَ الكفرِ، وهذا ضربٌ من إيجازِ القِصَرِ، وللإبلاغِ في تقريرِ الامتنانِ بمضمونِ الجملتَيْنِ، من تحبيبِ الإيمان، وكرْهِ الكفرِ والفسوقِ والعصيانِ، بجعْلِ مدخولِ الحرف (إلى) غايةً لِما قبلَه، فالإيمانُ غايةٌ يُسْعَى إليها، واجتنابُ الكفر وما بعده غايةٌ أيضًا.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلْإِيمَٰنَ﴾:

الإيمانُ الشَّرعيُّ مُحبَّبٌ للمخاطَبينَ

تعريفُ الإيمانِ في قوله ﷻ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ للجنسِ، أو للعهد الذِّهني، والمرادُ بهِ الإيمانُ الشَّرعيُّ، وهو الإيمانُ باللّه تعالى، وبباقي أركانِ الإيمانِ؛ بناءً على حَملِ الإيمانِ على الاعتقادِ.

بلاغةُ الإدماجِ والإيجازِ في ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾:

اللـه لا يأمرُ رسوله إلّا بما فيهِ صلاحُ العاقبةِ

معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾، ولكنَّ اللّه لا يأمرُ رسوله إلّا بما فيهِ صلاحُ العاقبةِ، وإن لم يصادف رغباتِكم العاجلةَ، وذلكَ فيما شرعَهُ اللّه مِنَ الأحكام، أي: حبَّبَ إليكم الإيمانَ الَّذي هو الدّينُ الَّذي جاءَ بهِ الرَّسولُ ﷺ، وهذا تحريضٌ على التَّسليمِ لِما يأمرُ بهِ الرَّسولُ ﷺ، ولذا فكونُهُ حبَّبَ إليهم الإيمانَ

إدماجٌ وإيجازٌ، والتَّقديرُ: (ولكنَّ اللَّه شرعَ لكم الإسلامَ، وحبَّبَهُ إليكم)، أي: دعاكم إلى حبّه والرِّضا بهِ، فامتثلتم[1].

بلاغةُ عطفِ: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ بالواو؛ لِما بينهما مِن التَّوسُّطِ بين الكمالَيْنِ؛ إذ كلٌّ منهما خبرٌ في اللَّفظ والمعنَى، وحسَّنَ الوصلَ كونُ كلٍّ منهما جملةً فعليَّةً، فعلُها ماضٍ، وأنَّ الحديثَ فيهما عن الإيمان، وجاء المعطوفُ تأكيدًا للمعطوف عليه، وحاصل المعنى: قرَّبَهُ، وأدخله في قلوبِكم، ثمَّ زيَّنَهُ فيها بحيثُ لا تفارقونَهُ، ولا يخرجُ مِن قلوبِكم، وهذا لأنَّ مَن يحبُّ أشياءَ، فقد يَمَلُّ شيئًا منها؛ إذا حصلَ عندَهُ، وطالَ لُبثُهُ، والإيمانُ كلَّ يومٍ يزدادُ حُسنًا، ولكن مَن كانَت عبادتُهُ أكثرَ، وتحمُّلُهُ لمشاقِّ التَّكليفِ أتمَّ، تكونُ العبادةُ والتَّكاليفُ عندَهُ ألذَّ وأكملَ، ولهذا قالَ في الأوَّلِ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ﴾، وقالَ ثانيًا: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾، كأنَّهُ قرَّبَهُ إليهم، ثمَّ أقامَهُ في قلوبِهم[2]، ويحتملُ أن يكونَ العطفُ مِن قبيلِ عطفِ العلَّةِ على المعلولِ[3].

تعظيمُ مِنَّةِ الإيمانِ برسوخِها في القلبِ

دلالةُ المُضِيِّ في ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ التَّزيينِ، وأنَّهُ أمرٌ قد مضَى، وانقضَى، وفي ذلكَ مزيدُ ملاءمةٍ لسياقِ الامتنانِ بشرف الإيمان.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالتَّزيينِ:

في قوله ﷻ: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾، استعارةٌ لطيفةٌ؛ بتشبيهِ الإيمانِ بشيءٍ ممّا يوقَعُ عليهِ الزّينةُ، ثمَّ حُذِفَ المشبَّهُ بهِ، وأُبقيَ على

من كمالِ شرَفِ الإيمانِ والإحسانِ به عليهم أن زيَّنَه لهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 236.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 102، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 367.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 123.

شيءٍ مِن لوازمه - وهو التَّزيينُ - على طريقةِ الاستعارةِ المكنيَّةِ، وإثباتُ هذا اللّازم للمشبَّه استعارةٌ تخييليَّةٌ، وفي ذلك احتفالٌ بالإيمانِ تفخيمًا له وتعظيمًا، وبهم إحسانًا إليهم.

بلاغةُ تعدية ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ بـ﴿فِى﴾:

عُلوُّ إحسانِ الله وكمالُه

لم يُعَدَّ الفعلُ ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ بالحرفِ (إلى) مِثْلَ فعلَي ﴿حَبَّبَ﴾، و﴿وَكَرَّهَ﴾، وإنَّما عُدّي بحرفِ الظَّرفيَّةِ ﴿فِى﴾؛ لتصويرِ كمالِ إحسانِه تعالى عليهم؛ بأن لم يجعل تزيينَ الإيمانِ يمَسُّ قلوبهم، بل جعلَه في قلوبِهم، بأن جعَل قلوبَهُم لهذا التَّزيين وِعاءً.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿قُلُوبِكُمْ﴾:

الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿قُلُوبِكُمْ﴾ بمعنى اللّام، أي: في قلوبٍ لكم، وذلكَ تأكيدٌ للامتنانِ عليهم، ببيانِ أنَّ مكانَ التَّزيينِ هو قلوبُهم الخاصَّةُ بهم.

بلاغةُ عطفِ ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ﴾:

تـكـريـهُ الـكـفـر والـفـسـوق والعصيان نعمةٌ جليلةٌ

قولُهُ تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ معطوفٌ على ما قبله، وهو كالتَّأكيدِ له[1]؛ لأنَّ مَن حُبِّبَ إليه الإيمانُ، وزُيِّنَ في قلبه؛ يُبغِضُ الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ دونَ شكٍّ، وفي استعمال حرف (الواو) المفيدِ معنى المغايرة إيماءٌ إلى استقلال ما بعده عمّا قبله؛ تصويرًا لعظيم أهمّيَّته، وكأنَّه كان عملًا مستقلًّا.

دلالة المُضيِّ في ﴿وَكَرَّهَ﴾:

اختيرَت صيغةِ الماضي في قوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ التَّكريهِ، وأنَّهم لا ينكرونَ حصوله، وذلكَ يوجبُ رعايةَ حقِّ هذهِ النِّعمةِ العظيمةِ باتِّباعِ الشَّرعِ.

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 123.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾:

التَّعريفُ في معمول التَّكريه المُتعدِّدِ في قوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ للجنسِ؛ فيفيدُ الكلامُ أنَّهم يكرهونَ جنسَ هذهِ المذكوراتِ الَّتي تُنافي كمالَ الإيمانِ.

بلاغةُ التَّعريضِ في ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾:

رضا الشّارعِ هو ميزانُ المؤمنِ في جميعِ أفعاله

في قوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾، تعريضٌ بأنَّ الَّذينَ لا يطيعونَ الرَّسولَ ﷺ، فيهم بقيَّةٌ مِنَ الكفرِ والفسوقِ والعصيان، والمقصودُ مِن هذا أن يتركوا ما ليسَ مِن أحكامِ الإيمانِ، فالخبرُ في قوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ مُستعمَلٌ في الإلهابِ وتحريكِ الهِمَمِ؛ لمراعاةِ محبَّةِ الإيمانِ، وكراهةِ الكفرِ والفسوقِ والعصيانِ، أي: (إن كنتم أحببتم الإيمانَ، وكرهتم الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، فلا ترغبوا في حصولِ ما ترغبونَهُ، إذا كانَ الدّينُ يمنعُ منهُ، وكانَ الفسوقُ والعصيانُ يدعو إليهِ)، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ الاندفاعَ إلى تحصيلِ المرغوبِ مِنَ الهوى - دونَ تمييزٍ بينَ ما يُرضي اللهَ وما لا يُرضيهِ - أثرٌ مِن آثارِ الجاهليَّةِ والكفرِ والفسوقِ والعصيانِ[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالكفرِ:

القَصْدُ إلى مقابلةِ الإيمان

في قوله تعالى: ﴿ٱلۡكُفۡرَ﴾ مجازٌ لطيفٌ، وذلكَ أنَّهُ في الأصلِ للتَّغطيةِ الحسّيَّةِ، فنُقِلَ للتَّغطيةِ المعنويَّةِ؛ إذ المرادُ هنا تغطيةُ نِعَمِ اللهِ بالجحودِ[2]؛ إذ إنكارُ وحدةِ اللهِ تعالى، وإنكارُ النُّبوَّةِ إنكارٌ لنعمةِ اللهِ[3]، وهذا مِن المجازِ الَّذي كثُر استعمالُه، فصارَ حقيقةً عُرْفيَّةً، وإنَّما عُبِّر بالكُفْرِ؛ لمقابلتِه الإيمانَ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 236.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 135، والخفاجي، عناية القاضي: 8/ 76.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 125.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالفسوقِ:

كـرهُ المخاطَبينَ لـلـخـروجِ عـن طريقِ الحقِّ

في التَّعبيرِ بالفسوقِ في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾، مجازٌ لطيفٌ؛ وذلكَ أنَّهُ في الأصلِ مِن: فسقتِ الثَّمرةُ؛ إذا خرجَت مِن قِشرِها، فاستُعمِلَ في الخروجِ عن القَصدِ، وعن طريقِ الحقِّ[1]، ومآلُ المجازِ فيه كما في ﴿ٱلۡكُفۡرَ﴾، وإنَّما ذُكِرَ الفسوقُ الَّذي هو المُروقُ مِن رِبْقة الدِّين، ولو مِن غير تغطية، بل بغير تأمُّلٍ؛ بيانًا لامتنانِه تعالى عليهم بتكريههم هذا الفسوقَ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالعصيانِ:

المؤمنُ لا يمتنعُ عن الانقيادِ

في التَّعبيرِ بالعصيانِ في قوله ﷻ: ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ مجازٌ لطيفٌ؛ وذلكَ أنَّهُ في الأصلِ مِن: عصتِ النَّواةُ؛ إذا صلُبَت، واشتدَّت، فنُقِلَ للامتناعِ عن الانقيادِ[2]، ومآلُ المجاز هنا كما في سابقيه، والتَّنْصيصُ عليه إبلاغٌ في الامتنانِ.

بلاغةُ المقابلةِ في الآيةِ:

الحقُّ والباطلُ طرفا صراعٍ

في قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ مقابلةٌ، فالتَّحبيبُ يضادُّهُ التَّكريهُ، والإيمانُ يضادُّهُ الكفرُ[3]، وهذا يدعو المُتلقّي إلى تدبُّرِ كلٍّ مِن هذه الأطرافِ في نورِ مقابلِه، فيتمكَّنُ المعنى في النَّفْسِ، وهذا إحسانٌ إلى المعنى والمُتلقّي جميعًا.

علَّةُ فصلِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّهُ كلامٌ مستأنفٌ استئنافًا ابتدائيًّا؛ للثَّناءِ على المخاطَبينَ باختصاصِهم بالرُّشدِ، ويحتملُ أن تكونَ الجملةُ اعتراضيَّةً للمدحِ[4].

---

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 135، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 351، والخفاجي، عناية القاضي: 8/ 76.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 135، والخفاجي، عناية القاضي: 8/ 76.

(3) الزحيلي، التفسير المنير: 26/ 225.

(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 363، والطيبي، فتوح الغيب: 14/ 470، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 237.

دلالةُ الاسميَّة في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾:

جيءَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ اتِّصافَهم بالرُّشدِ أمرٌ ثابتٌ دائمٌ، فهو حقيقةٌ لا تتغيَّرُ، وهذا تمكينٌ للثَّناءِ والمدح.

بلاغةُ الالتفاتِ:

في الالتفات مدحٌ لهؤلاء بديمومة السَّيْرِ في طريقِ الرُّشْدِ

في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ التفاتٌ مِنَ الخطابِ في قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾، إلى قوله: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ﴾ إلى الغيبةِ فيه، كأنَّهُ قيلَ: (ومَن فعلَ هذا، وقبِله، وشكرَ عليهِ، فأولئكَ هم الرّاشدونَ)[1]، وإنَّما عدَلَ القرآنُ عن خطابِهم إلى خطابِه ﷺ، فكانوا مذكورين بطريق الغَيْبة؛ للدَّلالة على عِظَم هذه الأوصافِ، وإبلاغًا في مدحِهم، فهُم قومٌ لا يُحِبّونَ أن يُمدحوا في ساحة الخطاب[2].

علَّةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ:

علوُّ درجةِ أهلِ الإيمانِ

الإشارةُ بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى الَّذينَ أحبّوا الإيمانَ، وتزيَّنَت بهِ قلوبُهم، وكَرِهوا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ[3]، وقد أُشيرَ إليهم باسمِ الإشارةِ للبعيدِ مع قُربِهم؛ للإشعارِ بعُلوِّ درجتِهم، وأنَّهم بمنزلةِ الأشياءِ الحسّيَّةِ العاليةِ، الَّتي يُشارُ إليها مِن بعيدٍ.

بلاغةُ القصرِ في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾:

الـرُّشـدُ خـاصٌّ بأهلِ الإيمانِ

في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ قصرٌ مستفادٌ مِن تعريفِ طرَفَي الإسنادِ، وتوسيطِ ضميرِ الفصلِ[4]، وهو قصرٌ حقيقيٌّ تحقيقيٌّ، قصرُ صِفَةٍ على موصوفٍ، أي: أولئكَ المحبَّبُ إليهم الإيمانُ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 147، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 314.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 368.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 237.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 470.

هم الرّاشدونَ، لا غيرُهم[1]، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّ بينَهم فريقًا ليسوا براشدينَ، وهم الَّذينَ تلبَّسوا بالفسقِ حينَ تلبُّسِهم بهِ، فإن أقلعوا عنهُ؛ التحقوا بالرّاشدينَ[2].

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾:

أهـلُ الإيـمـانِ هم أهلُ الرُّشدِ الكاملِ

تعريفُ: ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ بـ(أل) في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾؛ للدَّلالة على معنى الكمال، فيفيدُ الكلامُ بمَعونةِ القَصرِ على أنَّهم الرّاشدونَ الَّذينَ يستحقّونَ أن يُطلَقَ عليهم صفةُ الرُّشدِ، والمعنى: أولئك هم الكاملون في الرُّشدِ.

دلالةُ اسم الفاعل في ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾:

عُبِّرَ باسمِ الفاعلِ المجموعِ في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على رسوخِ المحبَّبِ إليهم الإيمانُ في الرُّشدِ[3]، ومقامُ الرُّسوخِ فيه سابقٌ على مقام الكمالِ فيه، فالثّاني مُؤسَّسٌ على الأوَّلِ.

إعرابُ قولِه: ﴿فَضْلًا﴾:

صـلاحُ الـعـبـدِ عطاءٌ مَحضٌ مِنَ اللهِ

قولُهُ: ﴿فَضْلًا﴾ يجوزُ أن يَنتصبَ على المفعولِ من أجله، وفي ناصبه وجهانِ: أحدُهما: الفعلُ في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾، وعلى هذا فما بينَهما اعتراضٌ. والثّاني: أنَّهُ ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾، ويجوزُ أن ينتصبَ بفعلٍ مقدَّرٍ، أي: جرى ذلكَ، أو كانَ ذلكَ، ويجوزُ أن ينتصبَ على المصدرِ المؤكِّدِ لمضمونِ الجملةِ السّابقةِ؛ إذ التَّحبيبُ والتَّزيينُ هو نفسُ الفضلِ[4].

سِرُّ التَّنْكيرِ:

تنكيرُ ﴿فَضْلًا﴾، و(نِعْمَةً) للتَّعظيمِ، أي: زيادةً وتطوُّلًا وامتنانًا عظيمًا جسيمًا، ودرجةً عاليةً، ومِنَّةً عظيمةً[5].

(1) ابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 123.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 237.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 368.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 514، والسمين الحلبي، الدر المصون: 10/ 8.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 369.

معنى ﴿مِّنَ﴾، ودلالة التَّعبير بها:

﴿مِّنَ﴾ في قوله ﷻ: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ للابتداءِ، فتفيدُ أنَّ ابتداءَ النِّعَمِ والفضلِ مِنَ الله ﷻ؛ إذ الخيرُ خيرُهُ، والكونُ كلُّهُ بيده، بل كلُّ شيءٍ بيده.

بلاغةُ الإظهارِ في موضِعِ الإضمارِ:

مَـنْ عَـظُـمَ في صفاته؛ عَظُمَ عطاؤُهُ وفضلُهُ

أوثِرَ اسمُ الجلالةِ دونَ غيره في قوله ﷻ: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ لدلالته على صفاتِ العظمةِ والجلالِ، الَّتي بها يكونُ الفضلُ والعطاءُ الَّذي لا يُرَدُّ، ولا يُحَدُّ، ولو قيل: (فضلًا منه ونعمة)، بعودة الضَّمير على اسم الجلالة في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ﴾؛ لضعُفَت دلالتُه على هذا المعنى، ففي إظهارِه إبلاغٌ في تعظيمِ الفضل والنِّعْمة.

نكتةُ ترتيب الفضل والنِّعْمة:

كـمـالُ العطاء باجتماع الفَضْل والنِّعْمة

في عطفِ النِّعمةِ على الفضلِ في قوله ﷻ: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ لطيفةٌ، وهي أنَّ الفضلَ إشارةٌ إلى ما عندَهُ تعالى مِنَ الخيرِ، وهو مستغنٍ عنهُ، والنِّعمةَ إشارةٌ إلى ما يصلُ إلى العبدِ، وهو محتاجٌ إليه؛ لأنَّ الفضلَ في الأصلِ ينبئُ عن الزِّيادةِ، وعندَهُ خزائنُ مِنَ الرَّحمةِ لا لحاجةٍ إليها، ويرسلُ منها على عباده ما لا يبقونَ معَهُ في ورطةِ الحاجةِ بوجهٍ مِنَ الوجوهِ، والنِّعمةُ تنبئُ عن الرَّأفةِ والرَّحمةِ، وهو من جانبِ العبدِ، وفيهِ معنًى لطيفٌ، وهو تأكيدُ الإعطاءِ؛ لأنَّ المحتاجَ يقولُ للغنيِّ: أعطِني ما فضلَ عنكَ وعندَكَ، وذلكَ غيرُ ملتفتٍ إليهِ، وأنابه قيامي وبقائي[1].

علَّةُ فصلِ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّهُ استئنافٌ تذييليٌّ لما قبله، مِن قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾؛ ببيانِ أنَّ ما ذُكِرَ فيما سبقَ مِن آثارِ علمِ الله وحكمته[2].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 103.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 238.

دلالةُ الاسميَّة في ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

جيءَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ اتِّصافَهُ تعالى بالعلمِ والحكمةِ أمرٌ ثابتٌ مُستقِرٌّ، وهو حقيقةٌ لا شكَّ فيها.

سِرُّ الإظهارِ في موضِعِ الإضمارِ:

استقلالُ الجملةِ أنسبُ بالتَّذييلِ

الظّاهرُ أن يقالَ: (وهو عليمٌ حكيمٌ)؛ لتقدُّمِ ذكرِ اسمِ الجلالةِ في قوله: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾؛ لكن أُظهِرَ في موضعِ الإضمارِ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ لتربيةِ المهابةِ[1]؛ إذ يدُلُّ هذا اللَّفظُ على صفاتِ العظَمةِ والجلالِ[2]، وفي الإظهارِ أيضًا تأكيدٌ لاستقلالِ الجملةِ؛ لتكونَ مِن قبيلِ التَّذييلِ الجاري مَجْرَى الأمثالِ.

سِرُّ ختمِ الآيةِ بصفتَيِ العلمِ والحكمةِ:

فِعْلُ اللهِ مقترنٌ بالعلمِ والحكمةِ

في خَتمِ الآيةِ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ مناسباتٌ عدَّةٌ:

منها: أنَّهُ تعالى لمّا ذكرَ نبأ الفاسقِ؛ قالَ: إن يشتبهْ على المؤمنِ كذِبُ الفاسقِ؛ فلا تعتمدوا على ترويجه عليكم الزّورَ، فإنَّ اللّه عليمٌ حكيمٌ، لا يفعلُ إلّا على وفْقِ حكمته.

وثانيها: لمّا قالَ اللّه تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾، بمعنى: لا يطيعُكم، بل يتَّبعُ الوحيَ، قالَ: فإنَّ اللّه مِن كونه عليمًا يعلمُهُ، ومِن كونه حكيمًا يأمرُهُ بما تقتضيهِ الحكمةُ، فاتَّبعوهُ.

وثالثُها: المناسبةُ الَّتي بينَ قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وبينَ قوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾، أي: حبَّبَ بعلمه الإيمانَ لأهلِ الإيمانِ، واختارَ لهُ مَن يشاءُ بحكمته.

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 127.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 369.

ورابعُها: قالَ ﷻ: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾، ولمّا كانَ الفَضْلُ هوَ ما عندَ اللّه مِنَ الخيرِ المُستغنَى عنهُ؛ قالَ تعالى: هو عليمٌ بما في خزائنِ رحْمته مِنَ الخيرِ، وكانتِ النِّعمةُ هو ما يُدفَعُ بهِ حاجةُ العبدِ؛ قالَ: هو حكيمٌ ينزلُ الخيرَ بقَدَرِ ما يشاءُ على وفْقِ الحكمةِ[1].

وبذلكَ تظهرُ مناسبةُ ختمِ الكلامِ بما يُناسِبُ ابتداءَهُ في المعنى، ويقالُ لهُ: تشابُهُ الأطرافِ[2].

نكتةُ ترتيبِ الصِّفتيْنِ:

تقديمُ ﴿عَلِيمٌ﴾ على ﴿حَكِيمٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ لأنَّ متعلَّقَ الأوَّلِ أحوالُهم، ومتعلَّقَ الثّاني في الإنعامِ على حسَبِ مراتبِهم في العَمَلِ والإخلاصِ[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفؤادُ والقلبُ:

الفؤادُ كالقلبِ، لكن يقالُ لهُ: فُؤادٌ؛ إذا اعتُبِرَ فيهِ معنى التَّوقُّدِ، يقالُ: فَأَدْتُ اللَّحْمَ، أي: شَوَيْتُهُ، ولَحْمٌ فَئِيدٌ، أي: مَشويٌّ[4]، والفؤادُ ألينُ مِنَ القلبِ؛ ولذلكَ يكونُ مَحَلًّا للعواطفِ، ولِما خَفَّ شأنُهُ، ويكونُ القلبُ مَحلًّا لِما عَظُمَ شأنُهُ مِنَ العَزْمِ والتَّمكُّنِ والاعتقادِ[5]، وقد عُبِّرَ بالقلوبِ هنا؛ لأنَّ الكلامَ عن الإيمانِ، وهو عظيمُ الشَّأنِ، فيكونُ محلُّهُ القلبَ.

القلبُ مستقرُّ الاعتقادِ، وما عَظُمَ شأنُهُ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 104، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 135، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 120.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 127.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 127.
(4) الراغب، المفردات: (فأد).
(5) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 665 - 675.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"